تمهيد

مر المجتمع السعودي خلال العقود القليلة الماضية بتغيرات لم يشهدها من قبل، شملت مختلف جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وكان لتلك التغيرات الأثر الكبير في نقل هذا المجتمع نقلة حضارية مميزة، جعلت منه مجتمعاً ينعم بمعظم ما حفل به هذا العصر من معطيات الحضارة الحديثة. وعلى الرغم من تعدد الجوانب الإيجابية التي أفرزتها تلك التغيرات، فقد كان لها -ولا بد أن يكون- بعض الآثار السلبية التي شملت حيزاً ليس بالهين من جوانب الثقافة التقليدية للمجتمع السعودي، بحيث أصبحت تلك الجوانب شبه مندثرة، ومجرد ذكريات في مخيلة وعقول البالغين وكبار السن في هذا المجتمع. وأما طفل اليوم، فأصبح في شبه قطيعة تامة مع تلك الجوانب الثقافية التي شكلت جزءاً من حياة آبائه وأجداده على مر العصور المتعاقبة. ولعل من أبرز تلك الجوانب الثقافية التي اندثرت -أو على الأقل قاربت على الاندثار من حياتنا المعاصرة- تلك المناشط التي كان يمارسها أبناء الأمس بمختلف فئاتهم وأعمارهم في أوقات فراغهم. وهي، في مجملها، تمثل عنصراً مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بسائر عناصر البناء الاجتماعي والثقافي لمجتمع الأمس ومقوماته. ويعزى هذا الترابط إلى ما يحمله ذلك البناء من رموز ودلالات، انعكست بالضرورة على مجمل القيم والمعتقدات والعادات والتقاليد التي انتظمت حولها كافة مناشط الحياة المتنوعة لإنسان الأمس في هذا المجتمع.

ومن هنا جاء هدف هذا المجلد، من مشروع توثيق الثقافة التقليدية بالمملكة العربية السعودية. فهو محاولة لرصد،

كل ما يمكن رصده، من تلك الألعاب التي كان أبناء هذا المجتمع يمارسونها، وتناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل، عبر العصور الماضية. ولكنها أخذت في زمننا المعاصر تغيب وتتلاشى من الساحة الاجتماعية شيئاً فشيئا، بفعل عوامل التغير الاجتماعي التي أتت على جزء ليس بالهين من الموروثات الثقافية والاجتماعية.

وعلى الرغم من أنّ هذه الألعاب ما زال لها محبوها وممارسوها، فإنها أصبحت تواجه منافسة ضارية من الألعاب الوافدة والمستحدثة ككرة القدم.

ومن هنا فالاهتمام بتوثيق هذه الألعاب وتدوينها يُعد مسئولية ومطلباً حضارياً ملحاً لحفظ جانب من تراثنا الثقافي للأجيال القادمة. ولعل هذا المجلّد، بما يحويه من توثيق ووصف لهذه الألعاب، يكون إسهاماً رائداً في هذا المجال. إلى جانب ذلك فالأمل معقود في أن يوفر هذا العمل، بالإضافة إلى ذلك الهدف الرئيسي، مادة علمية جيدة عن الألعاب الشعبية في المجتمع السعودي، يستطيع الباحثون، الاستفادة منها في إجراء عديد من الدراسات التحليلية في مجالات التربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، ونحوها. وسيشكل هذا العمل قاعدة بيانات، لمثل تلك الدراسات، لا تقتصر على حصر أكبر قدر ممكن من تلك الألعاب فحسب، بل رصد لعديد من الظروف الزمانية والمكانية التي كانت تُمارس الألعاب فيها، ووصف مقوماتها والكثير من الجوانب البشرية والبيئية المرتبطة بمزاولتها.

ولما كان الهدف من هذا المجلد يتمثل في رصد الألعاب الشعبية التي كان أبناء المجتمع السعودي يمارسونها، ونظراً لوجود العديد من الكتابات المباشرة وغير المباشرة حول الموضوع، فضلنا الجمع بين المنهج الوثائقي والحقلي في جمع البيانات

اللازمة لتحقيق هذا الهدف. وفي المراحل الأولى من الدراسة رجعنا إلى كل ما هو موجود ومتوافر حول الموضوع من كتابات عن الألعاب الشعبية، سواء أكانت تلك الكتابات على مستوى المجتمع السعودي بأسره أم على مستوى المدن والمناطق التابعة له. ورجعنا كذلك إلى الكتابات التي تدور حول موضوع الألعاب الشعبية في دول الخليج على وجه الخصوص، كالكويت، والإمارات العربية المتحدة، والبحرين. وكذلك الدول العربية الأخرى بوجه عام، نظراً للتجانس الاجتماعي والثقافي الذي يربط هذه الدول بعضها ببعض. وقد تمخض ذلك عن حصر مسميات الألعاب الشعبية التي تمارس في المملكة وغيرها من الدول العربية، كما أمكن الوقوف على مدى كفاية المعلومات المتوافرة عن تلك الألعاب، في تلك المصادر، ومعرفة الجوانب التي لم تنل قسطاً وافياً من الوصف والتحديد في تلك الألعاب، بقصد تلافي ذلك لاحقاً في العمل الحقلي. وأعقبت عملية الحصر هذه جهود حقلية لمقابلة عينة من البالغين وكبار السن. وقد عنينا بالتركيز على هذه الشريحة من السكان دون سواهم، على افتراض أنهم مارسوا تلك الألعاب الشعبية في صغرهم، ولذا فهم أقدر على إعطاء معلومات دقيقة عنها. وكذلك تمت مقابلة العديد من الإخباريين الذين يمثلون مختلف مناطق المملكة، كما هو موضح في الملحق الخاص بذلك من هذا المجلد. وقد استُخدم في تلك المقابلات دليل للمقابلة، شمل العديد من الجوانب الضرورية لوصف تلك الألعاب، وتحديد الظروف الزمانية والمكانية والبيئية المرتبطة بممارستها، ورصد المنطقة أو المناطق التي عرفت فيها اللعبة، ونمط التجمع البشري الذي تزاول فيه اللعبة من حيث كونه بدوياً أو ريفياً أو حضرياً.

وكذلك المكان الذي تزاول فيه، ووقت مزاولتها، والخصائص السكانية لمزاولي اللعبة كالجنس، والعمر. كما طُلب من الإخباريين إعطاء وصف كامل لكيفية مزاولة اللعبة، يشمل الأدوات اللازمة لها وأعداد المشاركين فيها وتحديد العبارات والألفاظ المستخدمة، وكذلك النتيجة التي تحدد الفوز أو الخسارة وتوضيح ما يترتب على ذلك، من جزاءات أو جوائز، ونحو ذلك مما هو ضروري لإعطاء وصف حي ودقيق للعبة وكيفية مزاولتها. كما حصلنا -فوق ذلك- في أغلب الأحيان على رسوم تقريبية من الإخباريين عن الأوضاع التي يتخذها اللاعبون في أثناء ممارستهم للّعبة، مما يسهم في فهمها.

ووفقاً لتلك المعلومات فإننا نحسب أنا قد استطعنا -من خلال هذا المجلد- إعطاء وصف حي وشاملٍ لكيفية ممارسة اللعبة، مع تحديد كافة العناصر البشرية والظروف الزمانية والمكانية المصاحبة لممارستها، وذلك وفقاً للقاعدتين الأساسيتين الآتيتين:

١) وضع عنوان أساسي لكل لعبة، وهو الاسم الذي عرفت به. وفي

حال تعـدد الأسماء اختيـر الاسم الذي اشتهرت به اللعبة في أغلب مناطق المملكة عنواناً أساسياً لها. وذكرت فـي مقدمة الحـديث عن اللعبة الأسماء المختلفة التي عرفت بهـا اللعبـة في مختـلف منـاطق المملكـة، وكذلك المسميـات التي عرفت بها اللعبة قديماً عند العرب، مع ربط كل اسم بالمنطقة التي عرفت فيها اللعبة. وقد روعي -ما أمكن- ضبط الأسـماء بالشكل ممـا يمكِّن القارئ من نطق اسم اللعبة النطق السليم.

٢) وصف اللـعبة وصفـاً دقيقاً شامـلاً للظروف الزمانية والمكانية والأدوات المستخدمة والممـارسين لها. يشمل ذلك تحديـد ميدان اللعـب، وعدد المشاركين في اللعبة، وبيان قواعدها وقوانينهـا، والأهازيج أو العبارات المصاحبة لممارستها، مع تفصيل كيفية إجراء اللعبـة، وكيفية تحديد الفوز والخسارة فيهـا وما إلى ذلك. وقد ذكـرت الأهازيـج أو الأناشـيد أو العبـارات التي ينـشدها أو يرددهـا اللاعبون أثناء اللعبة كجزء منها كلما كان ذلك ممكنـاً. وفي حالة وجود

اختلافات في طريقة اللعبة حسب المناطق، يذكر بعد الانتهاء من وصف اللعبة أوجه الاختلاف بين مناطق المملكة في مزاولتها.

وقد روعي بشكل عام في وصف اللعبة وتحليلها سهولة اللغة وخلوها من الألفاظ الصعبة مما يجعلها سهلة الفهم لدى القراء من مختلف المستويات والمشارب الثقافية.

وقد يحس قارئ المجلد بشيء من التشابه بين بعض الألعاب أو التكرار لأجزاء منها، مع اختلاف في الاسم أو طريقة اللعب أو الممارسة؛ وما ذلك إلاّ لاختلاف أسماء تلك الألعاب وقوانينها، وربما لاختلاف الأهازيج المصاحبة لها، بين منطقة وأخرى. وقد أُثبتت كل لعبة بمختلف صورها مراعاة للأمانة العلمية، وحفاظاً على خصوصية البيئات التي تمارس فيها هذه الألعاب.

كما ذُيلت كل لعبة، في الغالب، بأشكال ورسومات تبين أهم عناصرها، وتوضح كيفية مزاولتها والمشاركين فيها، وأبرز الارتباطات البيئية والثقافية لها.

وقد بدأنا الكتاب بتعريف اللعب ووظائفه، وتحدثنا عن أنواعه. ولوصل الحاضر بالماضي تطرقنا إلى اللعب عند العرب.

ثم أوردنا الألعاب مرتبة وفقاً لترتيب المعجم. وذيلنا الكتاب بقائمة المصادر، وقائمة الإخباريين.